من التناصّ الديني والصورة الشعرية في العصر المملوكي (شرف الدين الأنصاري نموذجا)

أسماء محمود الملاح

١- مقدمة:

لم أر حيفاً وقع على عصر من العصور الأدبية العربية كالذي وقع على العصر المملوكي، فقد وصمه الباحثون بالانحطاط والجمود في الأدب وفن القول. غير أن المرء يتساءل فيقول: إذا كان هذا العصر قد ورث تراثا أدبيا ضخما من العصور التي سبقته من العصر الجاهلي حتى العصر المملوكي، وقد ورث القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فكيف يتسلل الجمود الأدبي والانحطاط الشعري إلى هذا العصر؟ أضف إلى هذا أن العصر المملوكي عصر صراع ثقافي قوي تعرضت فيه الحضارة العربية الإسلامية من أعدائها إلى هجمات قوية غازية كادت تقتلعها من الجذور لولا لطف الله، سبحانه وتعالى، وتعهده بحماية هذا الدين، عندما قال :" إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر،٩). ومن الطبيعي أن تحافظ الأمة على تراثها وثقافتها محافظة قوية عندما تتعرض للهجمات التي تستهدف وجودها، ومن الطبيعي كذلك أن يقبل المفكرون والكتاب، وهم النخبة الممتازة المؤهلة للمحافظة على وجود الأمة، على التراث الأدبي والفكري وعلى تدريسه وتربية أبناء الأمة عليه حتى يكونوا مؤهلين لحمل رسالته وصيانته للمحافظة على وجود الأمة ومستقبلها. وقد حدث هذا فعلا، في هذه الفترة المملوكية، لأن الأمة كانت تحتفظ بتراثها احتفاظا علميا منظما، وكانت دور الكتب مليئة بالمصنفات التي تكتنز مختلف أنواع العلوم وبالمخطوطات الشعرية والنثرية التي تشكل كنز الأمة الحضاري. ولقد كانت مصر بالذات تشكل الرصيد القوي للأمة الإسلامية، بما كانت تدخره معاهدها ومكتباتها من مصنفات نادرة، لأنها ورثت الخلافة العباسية بعد أن ضعفت هذه الخلافة، وأصبح رموزها الدينيون، أي الخلفاء، دمية في أيدي الجنود الأتراك..

ولا أريد الإلحاح في القول النظري، كما لا أريد إلقاء الكلام على عواهنه، بل أريد أن أسوق دليلا واقعيا من الشعر الذي نظم في هذه الفترة، واخترت لهذا الدليل شاعرا مفلقا مبدعا هو الشاعر شرف الدين الأنصاري(-٦٢٦هـ) الذي كان قريبا من أصحاب القرار في هذه الفترة، وكان يعرف جيدا ما يفكرون به من ضرورة المقاومة القوية لأي غاز يفكر في هتك حضارة الأمة وثقافتها، وكان لهذه القيادة قصب السبق في حشد طاقة الأمة القتالية، وتحرير ما اغتصب منها، ويكفي أنها وارثة الأمجاد التي حققها صلاح الدين الأيوبي الذي طهر القدس وحررها من أيدي الغزاة. ويعنيني من كل هذا أن اللغة العربية كانت قوية جدا في هذا العصر، وأنها لم تتسلخ لحظة عن موروثها الثقافي والفكري، وهذا هو السبب المهم الذي جعل هذا الموروث النبع والضرع الذي يتكئ وجودها الحضاري عليه من ناحية، ووجودها المادي والبشري من ناحية أخرى، فصممت على أن تستميت في رد الغزاة ودحرهم إلى الأبد، وأصبحت هذه الفترة الزمنية من عمر الأمة نبراسا يضيء لها ما ينبغي أن تفعله عندما تتعرض لهذه التجربة المُرة مرة أخرى.

وليس من الممكن التدليل على قوة اللغة العربية في هذه الفترة الزمنية من عمر الأمة، وعمر أدبها، بحيث ننفض عنها فكرة الانحطاط والجمود نفضا كليا، بحشد كل ما لدينا من أدلة فنية وقولية، لأنها كثيرة جدا، ولكن نكتفي بجانب واحد محدود، وعند شاعر بعينه، هو بيان دور الشعراء في إنتاج أدب قوي مبدع بالاتكاء على القرآن والحديث اللذين يشكلان جوهر الموروث الديني في الثقافة العربية والإسلامية.

وسيكون بحثي موزعا على النقاط الآتية المشكلة لجوهره، وتتلخص في مقدمة تبين أهمية هذا البحث، ثم توضيح مفهوم الموروث بعامة والموروث الديني بخاصة، ثم التناص القرآني في بناء الصورة الشعرية

عند شرف الدين الأنصاري من ناحية المعنى، ومن ناحية الاقتراض النصي، ثم التناص في الحديث الشريف، ثم ننهي البحث بخاتمة تبين خلاصة ما وصلنا إليه في هذا الجانب المهم.

٢- الموروث:

إنّ الموروث، من تراث ديني وأدبي وتاريخي، مصدر مهم من المصادر التي يستعين بها الشاعر في نظم قصائده، فهو بأنواعه المختلفة الأساس المنيع الذي يبني عليه بناءه مظهراً ثقافته وإبداعه، وقد لخص علي عشري زايد أهمية التراث عند الشعراء فقال:" ولقد كان التراث في كل العصور بالنسبة للشاعر هو الينبوع الدائم المتفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة"(استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص ٧). وكان الشاعر شرف الدين، من شعراء العصر المملوكي، كغيره من الشعراء يستحضر ثقافته الواسعة وما اختزنته ذاكرته من علم في قصائده، فمن يقرأ الديوان يلاحظ تأثر الشاعر بآيات القرآن الكريم، وبالحديث الشريف، وبأشعار الشعراء الذين سبقوه وبأحداث وشخوص تاريخية. وسأركز في هذا البحث على الموروث الديني الإسلامي وأبعاده الجمالية والدلالية في الصورة الشعرية العربية كما أبدعها الشاعر شرف الدين الأنصاري.

٣- الموروث الديني:

حرص والد الشاعر شرف الدين الأنصاري منذ نعومة أظفار ابنه، على تلقيه العلوم الدينية والأدبية، فشب الشاعر المعروف(بابن الرفاء) على طلب العلم، فارتحل من بلده مستزيداً من الثقافة الدينية والأدبية، فالتقى بمشاهير العلماء في عصره، وتشبّع بمعارفهم وعلومهم المختلفة، فقرأ القرآن بقراءاته، وحدّث بحماة ودمشق ومصر، فكان أحد الفضلاء المعروفين وذوي الأدب المشهورين، جامعاً لفنون من العلوم والمعارف الحسنة. (الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣٣٤)

لذلك من يقرأ ديوان الشاعر يجد أثر ثقافته المتنوعة في شعره، والجدير بالذكر أن ثقافته الدينية كان لها الأثر الأكبر في شعره وبخاصة القرآن الكريم. فقد كان القرآن رافداً من الروافد التي ألهمت الشاعر وأثرت في أشعاره تأثيراً كبيراً، إذ حفل خطابه بالعديد من المفردات والمعاني القرآنية التي أضافت إلى شعره فخامة وحيوية وعمقاً، فإنّ" للتناص القرآني ثراءه واتساعه، إذ يجد الشاعر فيه كل ما قد يحتاجه من رموز تعبّر عمّا يريد من قضايا من غير حاجة إلى الشرح والتفصيل، فهو مادة راسخة في الذاكرة الجمعية لعامة المسلمين بكل ما يحويه من قصص وعبر، ناهيك عن الاقتصاد اللفظي والغنى الأسلوبي الذي يتميز بهما الخطاب القرآني".(البادي، حصة، التناص في الشعر العربي الحديث البرغوثي نموذجا، ٤١.)

ويعد التناص مع القرآن الكريم أبهى تجليات الخطاب الديني لأنه السمة البارزة في ذلك الخطاب، فإنّ" انكفاء الشاعر إليه شعرياً يعني إعطاء مصداقية متميزة المعاني للخطاب الشعري انطلاقاً من مصداقية الخطاب القرآني نفسه، فالقرآن الكريم يعد قمة البيان العربي، وهو أسمى نموذج يُحتذى أسلوباً وفكراً وهداية ودستور حياة".(الرواجبي، أحمد، التناص القرآني في شعر النقائض الأموية، المجلة الدولية للفكر الإسلامي، المجلد١٢، ٢٠١٢، ٩٢.)

وقد تفرع الموروث الديني عند الشاعر إلى عدة ألوان سنتتبعها في الصفحات الآتية.

٤- توظيف آيات القرآن الكريم:

ويمكن تقسيم التناص مع آيات القرآن الكريم في شعر الشاعر شرف الدين الأنصاري إلى ثلاثة أنماط، هي:

- **توظيف المعنى**

ومن ذلك استغلال الشاعر شرف الدين المعنى القرآني المتمثل بالحث على الصدقة، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ (المزمل، ٢٠)، يقول الشاعر متناصاً مع هذه الآية(الديوان،ص ٢٨٢):

كُنْتَ الملاذَ لشَـهرِ صَوْمٍ راحلٍ
أقْرَضْتَ فيه اللّهَ أحْسَنَ قرضهِ

فالشاعر حافظ على المعنى كما ورد في النص القرآني، ولم ينقله إلى سياق جديد، بل تأثر بمعنى الآية وضمنها في شعره مخبراً السامع أن ممدوحه أكثر من الصدقات في سبيل الله خلال شهر رمضان الكريم، وهكذا حافظ على الدلالة

الدينية للآية القرآنية، كما أنه تأثر باللفظ القرآني، فاستخدم الفعل (أقرض) منوعاً في استخدامه كما في الآية القرآنية فجاء فعلاً ومصدراً، فقال(أقرضت، قرضه)، أما لفظة (حسنا) في الآية، فقد جاءت في البيت الشعري على صيغة اسم تفضيل (أحسن) فكان لها دور في بيان مقدار طاعة الممدوح لله تعالى.

ويتناص الشاعر مع صورة من صور القرآن الكريم ليوم القيامة ويعيد صياغتها ويجعلها تنصهر في خطابه الشعري، قائلاً (الديوان،ص ١٠٤):

وهَبْكَ تَركْتَ زمانَ الحَياة
فَأَيْنَ المَفَرُّ إذا أَنْتَ متّا؟
وكيْفَ الفِرارُ إذا ما الجبالُ
نُسفْنَ، فَلَمْ تَرَ منْهُنَّ أَمْتا؟
سَرى المُتَّقونَ لكَسْبِ الفَلاح
فَفيمَنْ أَقَمْتَ؟ وفيمَ أَقَمْتا؟

أراد الشاعر هنا أن يذكّر المتلقي بضرورة تقوى الله في الحياة الدنيا والعمل للآخرة، فلجأ إلى القرآن الكريم الذي يعطي صورة مخيفة ليوم القيامة وقدرة الله العظيمة، قال تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا × فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا × لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ (طه، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧). لقد جاء خطاب الشاعر مطابقاً ومتآلفاً مع الخطاب القرآني، ويمكن ملاحظة أن الشاعر أحدث تغييراً في البناء اللفظي للآية، وأخذ منها فكرة نسف الجبال يوم القيامة مستعيناً بألفاظ الآية (الجبال، النسف، أمتا)، ظناً منه أنّ تذكير الناس بأهوال يوم القيامة له أثر في تحريك مشاعرهم.

فالشاعر، عندما يتمثل النص القرآني بألفاظه وعباراته، يعمل على توجيه قوة ضاغطة على المتلقي ليتعامل مع هذا التمثيل، وإيجاد العلاقة القائمة على المماثلة أو المخالفة، مما يدفعه إلى استحضار النص القرآني الغائب أولا، ثم يرتدّ منه إلى الخطاب الحاضر ثانياً، ثم يعقد العلاقة بينهما ثالثاً.

كما أخذ الشاعر صورة من الصور التي رسمها القرآن الكريم للكفار، ليصف بها حساده، قائلاً (الديوان،ص ٢٢٣):

نُفَّرٌ كالحُمُر المُسْتَنْفَرَهْ
أَجْفَلَتْ هارِبَـةً مِنْ قَسْــوَرَهْ
طلبُوا شَأْوي ، ولمَّا يَلْحقوا
بعدَ لأْيٍ مِنْ غُباري أَثَـرَهْ
مَنْ يُسالمْني أُسالمْهُ ومَنْ
رامَ حَرْبي، فإليه المَـعْذِرَهْ

ويظهر من النص السابق الحضور الواضح للخطاب القرآني، فالشاعر يتناص مع قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ× كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ × فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ (المدثر، ٤٩، ٥٠، ٥١)، وهذه الآيات تشبه الكفار الذين يعرضون عن دعوة سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، بالحمر الوحشية عند نفارها من الأسود(ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ٢٨٢/٨). أما في أبيات الشعر فتنعكس هذه الصورة القرآنية التي وصفت الكفار في أقبح الصور التي رسمها القرآن الكريم ليصور حساده. وإنَّ استحضار الشاعر هذه الصورة البليغة المفعمة بالحركة وإدخالها في نصه أَثْرتْ أبياته، فالشاعر حافظ على مفردات الآية مستعملاً (الحمر المستنفرة، قسورة) وحافظ أيضا على عنصر الحركة في الصورة القرآنية مستخدماً أفعالاً تدل عليها، (أجفلت، هاربة، طلبوا، يلحقوا)، فظل وهج الآية ساطعاً وصورتها الحركية حاضرة واضحة، أما الشاعر فقد أحسن عندما استحضر هذه الصورة المنفرة للكفار ليشبه حساده بها؛ لأن توظيفها كثّف الدلالة في البيت الشعري، وشكلت في ذهن القارئ صورة لحساده موازية لصورة الكفار.

فالشاعر هنا استعان بالتناص" ليخدم هدفاً، ويقوم بمهمة سياقية، يثري من خلالها النص، ويمنحه عمقاً ويشحنه بطاقة رمزية لا حدود لها، ويكّون بؤرة مشعة لجملة من الإيحاءات تتعدد فيها الأصوات والقراءات، ولن تتحقق له هذه الوظائف إلا إذا حقق شرطين: أحدهما يتعلق بالدلالة، حين ينقل التجربة الشعورية من مستواها الخاص إلى مستوى الموقف العام، وثانيهما يتصل بالبنية حين يستنبت فيها داخلياً، ويكتسب نسغها" (اليافي، نعيم، أطياف الوجه الواحد،ص ٨٤).

ويستمد الشاعر من آيات القرآن الحكيم صوراً ترفع من شأن ممدوحه الملك الأمجد، يقول(الديوان،ص١٥٣):

إليكَ ــ أبا المظفَّر ــ كلُّ مَلْك
يَفِرُّ مَخـافةً ويَزُورُ وَفــدْا
وأنْتَ ابْنُ المُعزِّ لهُ نصـيرٌ
إذا اسْتَعْدَى على الأَيّام أَعْدَى
تكادُ الأَرضُ تَنْشَقُّ ارْتجاجاً
لأمرِكَ والجبالُ تَخرُّ هَــدّا

فيتكىء الشاعر هنا على النص القرآني:﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا×أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾(مريم، ٩٠ – ٩١). فقد استحضر مشهد فزع السموات والأرض

من قول الكفار: إنَّ لله ولداً؛ ليسقطه على مشهد آخر جاء في سياق المدح وتعظيم الممدوح، فقد صوَّر وقع أوامر ممدوحه على الجبال والأرض كفزعها من إشراك الكفار، فالشاعر عن طريق التناص القرآني استطاع أن يوصل للقارئ مقدار العظمة والهيبة التي يتحلّى بها ممدوحه عند الناس، فهو لم يلتقط ألفاظ الآية القرآنية ويدخلها في شعره فحسب، وإنما نقلها إلى مشهد مختلف ببراعة.

واستخدم الشاعر الآية القرآنية التي تذكّر بنعم الله تعالى في سياق مغاير للنص القرآني، وذلك عندما تحدَّث عن حاله مع حبيبته، قائلا (الديوان،ص ١٩٣):

قَذَفَتْ بوَشْك الْبَيْن في كَبدي نارا
فَأَرْسَلْتُ ماءَ الْعَيْن بَعْدَكَ مدْرارا
وَلَوْلا حَريقٌ في حَشايَ جَعَلْتَ لي
بدَمعيَ جَنّات، وَأَجْرَيْتَ أَنْهارا

فالشاعر يحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا × يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا× وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح، ١٠- ١١- ١٢). فالآيات الكريمة تظهر نعم الله، سبحانه وتعالى، على عباده، فبأمره تتساقط الأمطار؛ فتجري الأنهار التي بها تسقي البساتين والمزارع.

والشاعر يتأثر بالنص القرآني فيستعير من الآيات كلمات مثل(مدرارا، جنات، أنهارا)، ويتقاطع مع الصورة القرآنية، ويتأثر بمعناها، ويصوغها صياغة جديدة في مشهد مختلف عن الآية، وهو متوافق مع تجربته الشعرية وحالته النفسية، وهو البكاء والنحيب على حبيبته، فيصور دموعه بأنها غزيرة وكثيرة تنهمر متتابعة متواصلة، وإنَّ هذه الدموع من كثرتها وغزارتها كانت لتسقي جنات وتجري أنهاراً.

• التوظيف الجُمَليّ

ومن ذلك تناص الشاعر شرف الدين الأنصاري مع قوله تعالى:﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ× يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (الطارق، ٨-٩)، إذ تناول جزءاً من الآية القرآنية ولم يغيّر فيها شيئاً، فنقلها كما هي لفظاً ومعنى، يقول(الديوان، ص ٢١٤):

ولا تُفشيَنْ سـرَّ الغرام ، فإنَّني
أَمينٌ عليه "يومَ تُبلى السَّـرائرُ"

ويوم القيامة هو ذلك اليوم الذي " تبلى فيه السرائر، أي تظهر وتبدو، ويبقى السر علانية والمكنون مشهوراً" (ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ٣٦٩/٨)، وإن توظيف الشاعر لهذه الآية كان محاولة منه لإثبات مدى أمانته في كتم حبّه، فهو يؤكد لمحبوبته كتمانه حُبّها حتى في يوم القيامة، يوم تصبح الأسرار مكشوفة للجميع، وقد أجاد الشاعر استحضار هذه الآية؛ لأنها أسهمت في تأكيد مدى صدقه، وأضفت على النص الشعري نوعاً من المبالغة اللطيفة التي يكثر تكرارها عند العشاق.

وقال أيضاً متأثراً بالقرآن الكريم (الديوان، ص٢٥٤):

باتَتْ مُوَسِّدَةً رأْسي على يَدها
عَطْفاً، وكانتْ يَدي منْها على راسي
وبتُّ مُسْتَغْرقاً فيها أُعوِّذُهـا
باللّه منْ شـرِّ وَسْـواس وخَنّـاس

ويظهر من النص السابق تناص الشاعر مع قوله تعالى: ﴿من شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (الناس،٤)، وهذه الآية، كما هو معلوم، تُقال لدفع الحسد والشر عن الإنسان، والشاعر حصن بها حبيبته، وهذا دليل على شدة حُبِّه وخوفه عليها، فتوظيف الآية في البيت الشعري جاء توظيفاً متطابقاً متآلفاً مع النص، فضلاً عن أهمية التناص في الكشف عن نفسية الشاعر وحبه الشديد لمحبوبته، وخوفه من فقدانها.

ويلاحظ في البيتين السابقين أنّ الشاعر وظّف اللفظ والمعنى، وعادة ما يلجأ الشاعر إلى هذا الأسلوب لنقل صوره:" بطريقة فنية تدل من جهة على سعة الثقافة القرآنية للشاعر ومن جهة أخرى براعته في التوفيق الدلالي بين قصده ومعنى الآية، وكأنه يريد أن يؤكد مدى تأثره بالقرآن الكريم وتحكّمه في ألفاظه ومعانيه".(ينظر:عبد الناصر، بوعلي، التناص مع القرآن الكريم في شعر مفدي زكرياء، مجلة الآثر، العدد ٧، ٢٠٠٨،ص ٢٤٠)

ومثال ذلك أيضا قوله (الديوان،ص ٢٩١):

"وجَّهْتُ وَجْهي للَّـذي
فَطَرَ" السّماءَ وأَرْضَـهَ
وتَرَكْتُ داراً ، لو صَفَا
لي ورْدُها ، لمْ أَرْضَـها

وهذا تناص مباشر مع خطاب جاء على لسان سيدنا إبراهيم -عليه السلام- متبرئاً فيه من عبادة قومه غير الله، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام، ٧٨- ٧٩)، وهنا استخدم الشاعر خطاب سيدنا إبراهيم، عليه السلام، مَدخلاً للحديث عن زهده في الحياة الدنيا، فهو ترك الدنيا وما فيها من نعيم، ووجه وجهه لعبادة الله وطاعة خالق

السماء والأرض ومقدّرها.

وأحيانا أخرى تأثر الشاعر بألفاظ القرآن، ولكنه نقلها من سياقها الخاص ووظفها في سياق مختلف تماماً كما فعل عندما وظف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى× فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى × فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (النجم، ٨،٩،١٠)، يقول الشاعر (الديوان،ص ٤٨٨):

تُبَشّرُني الأَلْطافُ بالقُرْبِ مِنْكُمُ
فصَدْرِيَ ما أَفْضَى! وعَيْشِيَ ما أَهْنَا!
وأَشْتاقُكُم في كلِّ وَقْتٍ و لَحْظَةٍ
وإنْ كنتُ منكمْ قابَ قَوسينِ أَو أَدْنى

ففي هذه الأبيات استغل الشاعر بنية النص القرآني (قاب قوسين أو أدنى)، ولم يجر عليها أيَّ تغير، وهذه الآية جاءت في معرض حديثه، تبارك وتعالى، عن الوحي، إذ كان سيدنا جبرائيل عند نزوله على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، على قدر قوسين أو أدنى من ذلك. وأخذ الشاعر هذا اللفظ القرآني، ونقله من سياقه الخاص بسيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى سياق مختلف.

ويوظف الشاعر النص القرآني في منتجه الشعري ليسقط ما في نفسه من أحاسيس، قائلاً (الديوان،ص ٤٥٧):

مُنايَ أَنَّكَ بالمَعْروفِ تُمْسِكُني
فَإِنْ أَبَيْتَ ، فَتَسْريحٌ بِإِحْسانِ

واستحضر الشاعر في هذا البيت الآية القرآنية التي تبين حكم الطلاق، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة،٢٢٩)، فالآية القرآنية وردت في سياق الحديث عن الطلاق، بينما ورد النص الشعري في سياق عتاب الشاعر لحبيبته، فالشاعر يحاكي حكم الطلاق، فيتمنى منها أن تعود إلى وصاله وحبه، أما إذا رفضت فلتتركه محسنة. فالشاعر تعايش مع النص القرآني وتقاطع معه، واستل من معانيه وألفاظه ما يلائم تجربته الشعرية وحالته النفسية.

•الاقتباس الإحالي

وفيه يذكر الشاعر اسم السورة القرآنية، ولا يذكر الآيات مباشرة، مما يدفع المتلقي لاستذكارها، ثم معرفة اللفظ المقصود الذي أراده الشاعر وأحال إليه، وهذا يقتضي منه معرفة بدلالته، وثقافة تمكّنه من الوصول إلى غاية الشاعر، ومن ذلك قوله(الديوان،ص ٣٥٠):

مَلْكٌ إذا حَفَّت المُلوكُ بِـه
لَقَّنَها الرُّعبُ سُورَةَ "العَلَقِ"
مَلْكٌ إذا حَفَّت المُلوكُ بِه
لَقَّنَها الرُّعبُ سُورَةَ "العَلَقِ"

فالشاعر يعظم ممدوحه ويصف الملوك حوله بأنها خائفة ومرعوبة منه، وذلك لقسوة عذابه وما يحويه من ذل، وطبيعة هذا العذاب لم يذكره الشاعر في بيته، بل أحالنا إلى آيات من سورة العلق، قال تعالى:﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ× نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ × فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ× سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ (العلق، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨)، وقال سيد قطب في تفسير هذه الآيات:" إنه تهديد في إبانه، في اللفظ الشديد العنيف﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾"(في ظلال القرآن، ٦/ ٣٩٤٢) إذ تؤخذ الجباه أخذاً عنيفاً، والشاعر استحضر هذه الصورة؛ لما فيها من تهديد حاسم ورادع يخدم المعنى في بيته الشعري.

وبعد فقد استلهم الشاعر معاني وصوراً من القرآن الكريم وضمنها في شعره، فعلى مستوى الشاعر يؤكد توظيفه لبعض آيات القرآن الكريم حضور القرآن في نفسه ووجدانه حضوراً قوياً، فهو قارئ للقرآن بالروايات (ينظر: اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٢٣٩/٢)، وقراءته له مكنته من استلهامه في شعره، أما على مستوى شعر الشاعر فإن استحضار آيات القرآن الكريم كان مقصوداً، وأضفى على نصوصه ثراءً وجمالاً ساعد على تقوية الفكرة في وجدان المتلقي.

٥- توظيف القصص القرآني:

استحضر الشاعر شرف الدين الأنصاري من القرآن الكريم قصص الأنبياء ووظفها في شعره وفقاً لرؤيته الخاصة، فأضفت على تجربته الشعرية الحيويّة والتجديد، وأكسبته عمقاً في المعنى. ولعلّ أكثر نبي ألهم الشاعر شرف الدين الأنصاري، وتردد ذكره في شعره، هو سيدنا موسى، عليه السلام، ومن ذلك قوله(الديوان،ص١٩٧):

وقُلْتُ لعُذّالي: أَلَمْ تَعْرِفوا الهَوى؟
لَقَدْ جِئْتُمُ شَيْئاً بِعَذْلِكُمُ نُكْرا

ويلاحظ أن الشاعر ضمَّن آيات من سورة الكهف في شعره ليفيد من أحداث قصة سيدنا موسى والخضر، واستثمر أيضاً النص القرآني من ناحية اللفظ والأسلوب، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا× قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا×فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا×قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ (الكهف، ٧٢- ٧٥).

فالشاعر يصطدم مع لائميه في

الحب، ويتجسد غضبه منهم في سؤال استنكاري عن عدم معرفتهم الحب، فيقول: ألا تعرفون الحب؟ ثم يرد عليهم، بصيغة استنكارية أخرى استمدها من القرآن الكريم جاءت على لسان سيدنا موسى عندما قتل الخضر الغلام بغير ذنب، فقال سيدنا موسى، عليه السلام،:(لقد جئت شيئاً نكرا)، واستحضار الشاعر لهذا الحوار القرآني وما فيه من استنكار وتنديد كان مغزاه جعل القارئ يقارب بين استنكار سيدنا موسى قتل نفس زكية بغير حق، وهي من أكبر الكبائر، وعدم وقوع عذاله في الحب.

فالشاعر هنا استثمر مهارته الفنية في الإفادة من النص القرآني وأحسن توظيفه، وذلك عندما استخدم البنية اللفظية الإنكارية للقرآن في نصه الشعري، وهذا ما دفع القارئ إلى استحضار فضاءات واسعة في تأويلها، وذلك لأن القارئ كما يرى رولان بارت هو الفاعل في عمليه الكتابة وليس الكاتب، يقول:" النص مصنوع من كتابات مضاعفة، وهو نتيجة لثقافات متعددة، تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار، ومحاكاة ساخرة وتعارض، ولكن ثمة مكان تجتمع فيه هذه التعددية، وهذا المكان، ليس الكاتب، كما قيل إلى الوقت الحاضر، إنه القارئ.... فالقارئ إنسيٌ من غير تاريخ، ولا سيرة ذاتية، ولا تكوين نفسي، إنه فقط ذلك الشخص الذي يجمع فيه حقل واحد كل الآثار التي تتكون الكتابة منها" (نقد وحقيقة،ص ص ٢٤-٢٥).

أما النبي الآخر الذي تأثر الشاعر شرف الدين الأنصاري بقصته وتناولها غير مرة في شعره فهو سيدنا يوسف، عليه السلام، يقول (الديوان،ص ٣٣٣):

وأَعْشَــقُهُ حتــى أَوَدَّ بأَنَّـــني
أَموتُ ، ويَحْيا ، هذه شيمةُ الوَفَا
فلا تَعْجبوا مِنْ فَرْطِ وَجْدِيَ، واعْجَبوا
إذا لم أَكُنْ يَعْقوبَ، إذْ كانَ يُوسُفَا!

وتتضح في هذه الأبيات شدة حب الشاعر لمحبوبته وعشقه لها، فإنه يستخدم أسلوب النهي في مواجهته لائميه، فينهاهم عن تعجبهم من شدة تعلّقه بمحبوبته قائلاً: (فلا تعجبوا)، ثم يستخدم الفعل نفسه، لكن بصيغة الأمر، فيطلب منهم أن يتعجبوا إذا لم يكن يحب حبيبته مثل حب سيدنا يعقوب لابنه سيدنا يوسف، عليهما السلام، فالشاعر تأثر بالحب الشديد الذي كان يكنه سيدنا يعقوب لابنه يوسف، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا﴾(يوسف،٨-٩)، ولا عجب من استحضار الشاعر قصة هذين النبيين؛ فسيدنا يعقوب فقد بصره من كثرة بكائه على ضياع سيدنا يوسف، قال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف،٨٤)، وأن يقوم الشاعر بتشبيه الحب الذي يجمعه بمحبوبته، بحب يعقوب لابنه، أضفت على الأبيات معاني الوفاء، والحب الصادق، فقصة سيدنا يعقوب مع ابنه يوسف، عليهما السلام، قصة حب أبوي خالدة معروفة للجميع استحضرها من الماضي لمنح نصه بعداً موحياً في الحاضر.

كما استحضر الشاعر قصة سيدنا هود، عليه السلام، مع قومه عاد في أبيات يهنئ بها ممدوحه بالنصر في المعركة، يقول (الديوان،ص ١٦٣):

صَبَحْتَ أَشياعَهُ فيها بصاعقة
تَخَرَّمتْ والداً مِنهُمْ ومَوْلودا
أَبقَى خميسُكَ يومَ الأَرْبَعاء بهمْ
ما حلَّ فيه بعادٍ إذْ عَصَوا هُودا

والشاعر في الأبيات السابقة يصوِّر مصير أعداء الممدوح، ويصور قوته وجبروته ويشبهها بالصاعقة، ثم يطلب منه أن ينزل بهم الهزيمة يوم الأربعاء، فيحل بهم ما حل بقوم عاد، ولعلَّ الإشارة إلى يوم الأربعاء لم تأتِ عبثاً إذ يرى بعض المفسرين أن عذاب الله سلط على قوم عاد في أيام متتابعات كان أولها الأربعاء(ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٥/٨)، قال الله تعالى في كتابه العزيز:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ×سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ × فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾(الحاقة،٦-٨).

ويلاحظ أن النصَّ الشعري استثمر الآيات القرآنية بصورة التطابق، فجاء متفقاً معها، فالشاعر ربط بين قوم عاد الذين ماتوا بالصاعقة، وأعداء الممدوح الذي هزمهم بجيشه، وبذلك تعانق الحدث الآني وهو انتصار الممدوح على أعدائه مع الحدث الماضي البعيد وهو إهلاك قوم عاد، محدثاً مقاربة بين القومين اللذين كانت نهايتهما الهلاك والزوال.

ويستمرُّ الشاعر في التعايش مع قصص الأنبياء واستلهام تجاربهم بما يخدم تجربته الشعرية، فها هو يستحضر مشهد سيدنا يونس، عليه السلام، في بطن الحوت، ويوظفه في أبيات تدعو إلى الزهد والتوبة، يقول (الديوان،ص ١٠٥):

تضَرَّعْ إلى اللّه في تَوْبَة
نَصوحٍ مُكفِّرَة ما اقْتَرَفْتــا
وقَلْبُكَ فاستَبْقِه مُخْلِصــاً

مُطيعاً إذا غَيْرَهُ الغرَ أَمْتى
مَتى تَنْجَلي ظُلَمُ الظُّلْمِ عَنْكَ
إذا لَمْ تُناد نداءَ ابنِ مَتَّى؟

يتقاطع الشاعر هنا مع قصة سيدنا يونس، عليه السلام، ومكوثه في بطن الحوت يسبِّحُ الله ويستغفره، حتى سمع الله دعاءه، قال تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ× فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء،٨٦-٨٧).

فالشاعر استدعى قصة سيدنا يونس ناصحاً، فهو ينصح سامعيه بالتوبة لله عن كل الذنوب التي اقترفوها، ويرى أن السبيل للخلاص من الذنوب هو الاستغفار فقد قال:(متى تنجلي ظلم الظلم عنك إذا لم تناد نداء ابن متى؟) وهذه إشارة إلى دعاء سيدنا يونس الذي ردده وهو في بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، وإن استدعاء الشاعر لقصة يونس كان استدعاء مقصوداً نابعاً عن وعي تام، لأن قصة سيدنا يونس – عليه السلام- دليل على عفو الله، ودعاؤه مفرج للكروب في كل زمان، فالشاعر استحضر من قصص الماضي العبرة التي تلائم خطابه الشعري في الحاضر.

واستدعى الشاعر قصة سيدنا سليمان، عليه السلام، مع بلقيس في مدح سيدنا رسول الله محمد- صلى الله عليه وسلم- قال(الديوان،ص ص١٤٩-١٥٠):

وكمْ شَديدِ الضَّلالِ أَعْمَى
أَشْرَكَ لمَّا رآهُ وحَــــدْ!
فَلَوْ رأَتْهُ بَلْقيــسُ أغْنى
هُداهُ عَنْ صَرْحِها المُمرَّدْ

ويمدح الشاعر سيدنا محمداً، صلى الله عليه وسلم، مستخدماً (كم) للتكثير، فيقول: كم شخص شديد الكفر آمن لما رأى وجه النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ثم يشير إلى قصة إيمان ملكة سبأ على يد سيدنا سليمان، إذ أمر سيدنا سليمان بإحضار عرش الملكة بلقيس ثم أجرى تحته الماء والحيتان، وجعل فوق الماء زجاجا مملساً، فعندما حضرت ظنت أنه ماء فرفعت ثوبها لتخوضه، فأخبرها سيدنا سليمان أنه صرح من زجاج، فرأت مُلكاً أعظم من مُلكها، فأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم. قال تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل، ٤٤). فإن بلقيس آمنت برَبِّ سليمانَ لما رأت قوته، ولكنَّ الشاعر يرى أن بلقيس لو رأت وجه سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، لكفاها ذلك، دون الحاجة إلى الصرح الممرد الذي بناه سيدنا سليمان.

واستحضر الشاعر شرف الدين الأنصاري شخصية سيدنا عيسى، عليه السلام، عندما قال راثياً (الديوان،ص ٣٠٩):

لا تَبْكِه، فَهْوَ حَيٌّ بالقِياسِ على
سَمِيِّه، وابْكِ فيه النُّسْكَ والوَرَعا

والشاعر هنا يرثي الملك المعظم عيسى بن أبي بكر، ويطلب من الناس عدم البكاء عليه، فهو حي مثل سيدنا عيسى، عليه السلام، واستحضار الشاعر لشخصية سيدنا عيسى هو إشارة إلى أن الملك المعظم عيسى توفي، ولكنه حي في قلوبهم وذاكرتهم، مثلما أنَّ سيدنا عيسى، عليه السلام، رفعه الله، سبحانه وتعالى، قبل صلبه إلى السماوات العلا، قال تعالى:﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا× بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء، ١٥٧- ١٥٨)، إن الشاعر أحسن في استدعاء شخصية سيدنا عيسى في معرض حديثه عن موت الملك؛ لأن أحداث قصة سيدنا عيسى تناسب هذا الحدث.

ومما يجدر ذكره أن الشاعر في ذكره الأنبياءَ كان متأثراً بالنص القرآني، حتى إنه كان يضمن أبياته الشعرية أجزاء من الآيات التي ذكرت القصة، فيستدعي البنية اللفظية والأسلوب القرآني، وهذا واضح في الأبيات التي وظف فيها الشاعر قصة موسى، وسليمان عليهما السلام.

وأخيراً استطاع الشاعر باستدعائه قصص الأنبياء أن يُعِّبرَ عن هواجسه وما يدور في خاطره، فتناصه مع الأنبياء جاء في مناسبات متعددة، ربط بين اللحظة الآنية واللحظة الماضية، ففتح لنصه فضاءات واسعة، وجعل تناصه أعمَّ وأشمل، فضلاً عن ذلك فإن التناص مع قصص القرآن قوّى فكرته، لأن القرآن الكريم كتاب مقدس، وقصصه مختزنة في ذاكرة المسلم.

٦- توظيف الحديث الشريف:

لقد استلهم الشاعر ألفاظاً ومعاني من أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، وصاغها وفق تجربته الشعرية،

والحديث الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، فاستثماره أثرى نص الشاعر وأغناه. والجدير بالذكر أن نسبة تناص الشاعر مع الحديث الشريف كانت أقل بكثير من تناص الشاعر مع القرآن الكريم. ومن ذلك، قوله (الديوان،ص ١٦٦):

حادُوا عن الظُّلم، ولولا سُطــاً
تَحدُّهُمْ عنهُ لَمَا حادُوا
عادَوْا سَجاياهُم، وعادُوا لِذي
تكرُّمٍ إحسانُهُ عـــادُ
ضَفَتْ على الأُمَّة في صَوْمها
مِنْ بِرِّه الكاملِ أَبرادُ

فالمتأمل لهذه الأبيات يجد الشاعر يذكر خصال ممدوحه، فهو ذو سلطة وقوة كبيرة دفعت قومه للعودة إلى خصالهم الطيبة، ثم انتقل للحديث إلى ممدوحه مستخدماً أسلوب الالتفات، فالشاعر كان يستخدم ضمير الجمع (حادوا، عادوا)، ثم استخدم ضمير الغائب الهاء الذي يعود للممدوح (إحسانه عادة)، وهذه العبارة تتقاطع مع قوله، صلى الله عليه وسلم: ﴿الْخَيْرُ عَادَةٌ، وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدين﴾(ابن ماجه، سنن ابن ماجه،ص ٥٦)، فاستدعى الشاعر الحديث الشريف ليوظفه في شعره فكان تناصاً تآلفياً من ناحية المعنى يتماشى وفق تجربته الشعرية، فقد أكد من خلالها على إحسان المدوح وعمله الطيب فإحسانه عادة لا تتبدل، وكان لها الأثر الطيب على شعبه.

وعاد الشاعر شرف الدين الأنصاري إلى استثمار أحاديث الرسول في أبياته الزهدية، قائلا (الديوان،ص ص ٥٣٨-٥٣٩):

فازَ بالرّاحة ذو الفَـهْمِ، وللغِـــرِّ العَنـاءُ
وإذا صَحَّ لَكَ القُو
تُ، "على الدُّنيا العَفاءُ"
جَفَّتِ الأَقلامُ بالكا
ئنِ، وانْبَتَّ القَضاء

فالشاعر في هذه الأبيات يتناص مع ثلاثة أحاديث من أحاديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، الأول قوله عليه السلام: ﴿إذا أصبحت آمنا في سربك، معافى في بدنك عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفاء﴾ (البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ١٠/١٣)، والشاعر هنا يبدأ بيته كما بدأ الرسول، صلى الله عليه وسلم، حديثه بأداة الشرط فيقول: إذا توفر عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء، جاعلاً جواب الشرط في البيت كجواب الشرط في الحديث، وهي عبارة على الدنيا العفاء، فيكون الشاعر تناص مع الحديث تناصاً تآلفياً باللفظ والمعنى والأسلوب.

وأما الحديث الثاني الذي تناص معه الشاعر، في هذه الأبيات، فقوله، صلى الله عليه وسلم: ﴿يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك.......... جفَّت الأقلامُ ورفعت الصحف﴾(الألباني، الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ١٣١٧-١٣١٨)، وهناك حديث آخر للرسول يحمل المعنى نفسه، قال أبو هريرة: قال لي النبي، صلى الله عليه وسلم: ﴿جَفَّ القَلَم بما أنتَ لاق﴾(البخاري، الجامع الصحيح،٢٠٨/٤). فالحديثان يتناولان مسألة القدر، والشاعر تناص مع عبارة (جفت الأقلام) تناصاً حرفياً، فهي" كناية عن الفراغ من الكتابة، لأن الصحيفة حال كتابتها تكون رطبة أو بعضها، وكذلك القلم فإذا انتهت الكتابة جفت الكتابة والقلم، وفيه إشارة إلى أن كتابة ذلك انقضت من أمد بعيد" (البخاري، الجامع الصحيح، ٢٠٨/٤).

وهكذا استطاع الشاعر بمهارة أن يبني علاقة انسجام وترابط بين النص الحاضر (القصيدة) والنص الغائب (الحديث الشريف).

٧-الخلاصة :

أما بعد، فإن اللغة العربية قادرة، في أي زمن من الأزمان، على أن تتمتع بحياة قوية، وتعبير جميل، وإبداع متميز، إذا اتكأ أهلها اتكاء مخلصا على كنوزها القولية التي لا تبلى على الدهر، وهي تتضح في الموروث الديني المتمثل في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وموضوع الصورة الشعرية من الموضوعات المهمة في صناعة الشعر، لأن الشعر ضرب من التصوير، كما يقول الجاحظ. ومعروف أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أعلى كعبا من غيرهما من النصوص العربية في الفصاحة والبلاغة، وهما يشكلان ضربا من الإعجاز القولي الذي لا يضاهى، كما بين هذا الرأي عبد القاهر الجرجاني في كتابيه " دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة. ومن المعروف كذلك في الأوساط النقدية أن القرآن الكريم، بخاصة، يكاد التصوير الفني يطغى على أسلوبه طغيانا منقطع النظير حتى ليخيل إليك، عندما تقرأ الآيات والسور، أن القرآن الكريم كله تصوير بديع النظم، ولقد أطال الناقد سيد قطب في بسط هذا المعنى في كتابه " التصوير الفني في القرآن"، ثم نهج نهجه النقاد الذين اعتقدوا هذا الرأي

مثل الدكتور صلاح الخالدي في كتابه " نظرية التصوير الفني في القرآن". وجوهر البلاغة في النص الأدبي يقوم على مدى ما يحقق الكاتب في أدبه من التصوير الفني الذي ينبض بالحيوية والحياة، وهل هناك كتاب يربي المتعلم على جودة التعبير ودقته وجماله أفضل من القرآن الكريم؟ ولقد رأينا رأي العين كيف أن الشاعر شرف الدين الأنصاري الذي عاش في فترة زمنية صاخبة من حياة الأمة استطاع أن يكتب شعرا قويا مبدعا، لأنه اتكأ في بناء صوره على القرآن الكريم وتصويره الفني النابض بالحياة والحركة، فالشاعر أحيا موروثه الديني واستخلص منه دلالات جديدة، وشحن أشعاره بهذا الموروث، فمكنه ذلك من إيصال تجربته الشعرية الخاصة بصورة تدعو إلى الإعجاب والبلاغة والقوة، فتركت آثارها القوية على المتلقي في أي عصر كان. وإن عمله يعتبر دليلا قويا على ما نذهب إليه، كما يعتبر دافعا قويا للنشء على تمثل تراثه العظيم منطلقا من لغته وقيمه عندما يكتب أدبا عربيا في مستقبل الأمة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الألباني، محمد ناصر الدين، الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م. (١-٢)
- البادي، حصة، التناص في الشعر العربي الحديث(البرغوثي نموذجا)، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- بارت، رولان، نقد وحقيقة، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، ١٤١٤ه/ ١٩٩٤م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ ه)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.(١-٤)
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت ٤٥٨ ه)، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق: مختار النرّوي، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م.(١-١٤)
- زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، (د.ط)، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- شرف الدين، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد الصاحب الأنصاري (ت ٦٦٢ ه)، ديوان الصّاحب شرف الدين الأنصاري، تحقيق: عمر موسى باشا، مجمع اللغة العربية، (د.ط)، دمشق، (د.ت).
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ ه)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخرون، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م. (١-٢٩).
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة العاشرة، القاهرة، ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م. (١-٦)
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ ه)، تفسير القرآن الكريم، تحقيق: محمد حسين حسن الدين، دار الكتب العالمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م. (١-٩)
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت ٢٧٣ ه)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني وآخرين، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرياض، (د.ت).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ ه)، لسان العرب، دار صادر، الطبعة السادسة، بيروت، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م. (١-١٨)
- اليافي، نعيم، أطياف الوجه الواحد دراسات نقدية في النظرية والتطبيق، اتحاد الكتاب العرب، (د.ط)، دمشق، (د.ت).
- اليونيني، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ)، ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٧٤ه/ ١٩٥٤م. (١-٣)

الدوريات:

- الرواجبي، أحمد وآخرون، التناص القرآني في شعر النقائض الأموية، المجلة الدولية للفكر الإسلامي، المجلد(١٢)، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م. (٩١-١٠١)
- عبد الناصر، بو علي، التناص مع القرآن الكريم في شعر مفدي زكرياء، مجلة الأثر، العدد(٧)، ورقلة، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م. (٢٣٤-٢٤٢)